

البَيْتُ وَالْأُسْرَةُ

بقلم الأستاذ سليم فريد

ظال الناس حقبا من الدهر يبحثون في التربية ، أصولها وطرائقها ، حتى أصبح للتربية نظريات مختلفة ، منها ما شرعته الأديان ، ومنها ما وضعته القوانين والنظم الاجتماعية ، ولذلك اختلفت الآراء ، وتضاربت الأفكار ، وأصبح لكل فئة من الناس طريقتهم الخاصة في التربية ، بل أصبح لكل شعب ولكل دولة نظم وقوانين خاصة في التربية .

فيران الرقي العام الذي دفع بالمجتمع نحو العناية بالفرد والتهوض به وتوفير أسباب السعادة له ، وتقدم العلوم التي تتصل بالإنسان مباشرة كعلم النفس ، وعلم الحياة ، وعلم الاجتماع ، كل هذا دعا إلى التفكير العام - أو الدوني - في وضع أسس ثابتة موحدة في التربية ونظمها . وليس هذا البحث بحثا في التربية ، أصولها وأغراضها ونظرياتها ، بل هو بحث يكاد يتحصر في تربية الطفل ، فقد كثرت الكلام حول هذا الموضوع ، وتضاربت النظريات فيه ، فلعل هذا البحث يوصلنا إلى ما يبتغيه كل والد مصري وكل والدة مصرية ، من تنشئة طفلها نشأة طيبة ، ليكون رجلا نافعا لنفسه ولوطنه .

يولد الطفل مزودا بالقدرة على التعلم ، والاستعداد له ، وغرائز الطفل مرنة مرونة كبيرة يسهل تعديلها وتغيير المؤثرات التي تؤثر فيها ، وتوجيه الطفل توجيهها صحيحا تحت إشراف العقل ولذكاء .

ولدى الوالدين وقت طويل يمكنهما من تعليم طفلها الشيء الكثير مما تعلماه وخبراه في حياتهما ، وذلك في لعبه ومرحه ، وفي هدوئه وحياته اليومية العادية ، وبقدر ما يبذل الوالدان من جهد في تربية طفلها وإتاحة الفرصة له ليكتسب خبرة ورفق ، يكون تقدمه في الحياة وفي المجتمع .

وهنا يحسن أن نفرق بين لفظي التربية والتعليم ، فالتربية هي الجهود التي تبذل لرعاية الطفل من الوجهتين النفسية والجسدية ، والطفل في تربيته يعمل ويشكر ، وهو تارة يخطئ وتارة يصيب ، ويستفيد من تجاربه في الخطأ والصواب ، أما العلم فهو مجموعة المعلومات التي يضمها المعلم في ذهن التلميذ لينسج عقله وينمو ، فالتلميذ إذن في التربية موقفه إيجابي ، وفي التعليم سلب ، وليس التلميذ هو الذي ينمي العقل ويزيده مادة وكفى . بل التعليم الصحيح ما يثير في نفس المتعلم الشوق إلى الاستزادة من العلم والاهتمام به ، فهو وسيلة من وسائل التربية العنيفة .

ومن هذا يمكننا القول بأن التربية هي التأثير بجميع المؤثرات المختلفة التي تعين الطفل على الرقي جسمانيا وعقليا وخلقيا، حتى يصل إلى أقصى ما يستطيع الوصول إليه من الكمال، ليسعد في حياته الفردية والاجتماعية .

وكثير من الآباء - خصوصا الصناع والزراعي منهم - يفهمون من أصول التربية إعداد أطفالهم لكسب الرزق ، فهم ينفقون ماله على أطفالهم بأمل كسب أكثر منها في المستقبل ، وبذلك أصبحت أصول التربية عندهم نوعا من التجارة ، وهذا يؤدي إلى تعليم كثير من الأطفال مالا يلائم مواهبهم وميولهم الشخصية .

وإنى لا أستكر من التربية أن تكون وسيلة من وسائل كسب العيش ، فإن إعداد الطفل لكي يعمل لكسب عيشه بنفسه أمر لا بد منه ، ولكنني أستكر على بعض الآباء أن يكون هذا الغرض هو المثل الأعلى في تربية طفلهم ، فرغم أن كسب العيش عامل مهم في الحياة فلا يغيب عنا أن هذا ليس كل ما نحتاج إليه في حياتنا الاجتماعية .

كذلك يرمى كثير من الآباء إلى العمل على حشو ذهن الطفل بالدروس والمعلومات لينجح في الامتحان وكفى ، ولقد دلت التجارب على أن التعليم الخالي من إعداد الطفل للحياة العملية تعلم قاصر ، لا يفيد الطفل شيئا . وهناك من يقول إن التلميذ الأول في الامتحان هو الأخير في الحياة العملية ، وسواء صح هذا القول أو لم يصح ، فهو يرينا أن الجهد في المدرس واستيعاب كثير من العلوم لا يفيد بجانب الاستعداد للحياة .

وسنين فيما يلي أهم ما يجب أن يتبينه الوالدان في تربية طفلهم ، حتى يشب طفلا قويا من جميع الوجوه الخلقية والجسدية والعقلية والعمالية .

١ - الميول والعزائر :

يمكن تغذية كل غريزة في الطفل ، ذلك لأن غريزته وميوله يصحبها من القوة ما يدفع به إلى إرضائها ، ومتى بلغت الحد الذي يعظم فيه أثرها ، اشتدت تلك القوة التي تدفعه إلى إشباع ميوله مما يريد ، فإذا لم يتمهد الوالدان هذه الميول والعزائر بالغذاء الذي يؤدي بالطفل إلى طريق الخير والفلاح ، فإن الطفل يدفع متخيرا من الغذاء ما يصل به إلى غايته فسوء العاقبة .

ويسهل تعهد الأطفال من هذه الناحية في أوقات الفراغ ، وكلما سحقت الفرصة بأن أخطأ الطفل أمامنا مثلا ، فنرشده إلى الصواب باللين لا بالشد .

٢ - القوة الخلقية :

المقصود بها القوة التي تجعل المرء يضع كل شيء في محله ، وهذه القوة تميّتها وتمهدها يعودان إلى المنزل والمدرسة معا . ذلك أن الطفل يعتقد أن ما يفعله والداه هو الصواب ، وأن ما يفعله المعلم في المدرسة هو الصحيح . وعلى ذلك فإن المنزل المنظم العالي الأخلاق ، والمدرسة المنظمة ذات المعلمين الأفاضل ، من أكبر الأسباب في إيجاد الطفل القويم الأخلاق .

عبر أنه يجب ملاحظة أن المعلم لا يؤثر في الواقع مباشرة في الطفل ، فإذنى يحيى القوة الخلقية فيه هي الروح المدرسية ، وهي ليست نتيجة عمل المعلم وحده ، بل إن مجموعة التلاميذ والمعلمين ، ونظام المدرسة نفسه ، من أهم العوامل في تربية تلك القوة في الطفل .

٣ - العادات الحسنة :

نشأ العادات الحسنة وتتكون حتى ترسخ في النفس ، وتصبح طبيعة في الإنسان ولذلك يجب الالتفات إلى هذه الحقيقة . وتعويد الأطفال العادات الحسنة منذ نشأهم الأولى : فالنظافة والنظام الحسن ، والمحافظة على المواعيد ، والصدق ، والأمانة ، والصرافة في القول ، والإخلاص في العمل ، كلها عادات طيبة إذا تعهدا الوالدان في الطفل وهو صغير ، شب طيبا وهو كبير . وليس تعويد الطفل هذه العادات الطيبة ، هو أن نخبرهم بقولنا ، أو مضار أضدادها بل أن نعمل بها ، فلا تكون قدريين ولا فوضى في نظامنا أمام الطفل ولا نكذب أمامه ، ولا نظهر أمامه أى مظاهر شائن .

يجانب هذا كله ، يجب أن يتعرف الوالدان أهمية (البيت) والمدرسة في تربية الطفل وواجب كل منهما في سبيل ذلك .

فانفضل يشب متسجعا بيمول والديه ، متأثر بمشاربهم في الحياة ، ويفهم أثناء حياته في أسرته ماله من حقوق وما عليه من واجبات ، كما يكتب كثيرا من الفضائل إذا أراد أن ولدان ، ويتعلم كثيرا من القرائن إذا أهمل الوالدان تربيته وملاحظته .

وتأثير البيت في الطفل قوى ، يظهر أثره في شبابه ، فالبيت الشريف والبيت الوضع ، كلاهما عظيم الأثر في تكوين أبناء الأمة ، ولذلك يجب أن يعرف الوالدان أهمية هذا ، فلا يهملوا في تادية واجبه ولا يتركوا الحمل وحده على عاتق المدرسة ، فإ المدرسة إلا عامل متمم لتربية البيت ولا يمكن الاستغناء بها عنه .

أما المدرسة فهي الأداة التي تعلم النفس ما يتعد على الآباء القيام به . وهي السبيل الذي بواسطته يفهم الطفل معنى الحكومة والقانون ، والحرية والحقوق والواجبات ، هي الطريق الموصل إلى الحياة العملية .

غير أنه يجب ألا يغرب عن البال أن المعلم أثره في الطفل أقل من أثر الوالد ، ذلك لأن الطفل رأى والده قبل أن يرى المدرسة ، فهو قدوته الأولى ، ولذلك تراه يشكو قسوة معلمه إلى والده ، ولا يشكو قسوة هذا إلى ذلك .

وإذا كان لبيت أكبر الأثر في تكوين عادات الطفل وتهذيب ميوله . فإن المدرسة مجلها أوسع في التهذيب والصقل ، لأنها تجمع الأطفال ، والأطفال يحاكون بعضهم بعضا وحتاهم أدعى إلى التنافس ، وبعث النشاط في نفوس الأطفال .

ومن هنا يجب أن نذكر أنه لكي يكون تأثير المدرسة والبيت معا في الطفل تأثيرا حميدا، يجب التعاون بينهما على تربية الطفل ؛ وإليك واجبات المدرسة ثم واجبات البيت في هذا التعاون :

- (١) يجب أن يتعارف المدرسون بالآباء ويدعوهم إلى اجتماعات دورية وحفلات .
- (٢) يجب إرشاد الآباء إلى الطرق الصحيحة في تربية أبنائهم .
- (٣) ترسل للآباء تقارير دورية مفصلة عن التلميذ وأعماله وأخلاقه .
- (٤) لا يكلف الآباء مصاريف كإلية للمدرسة .
- (٥) تتعاون المدرسة مع البيت في شغل وقت فراغ التلاميذ، فتربي فيهم حب المطالعة والرحلات والأسفار ، والرياضة الخ ...
- (٦) تدرس مواهب الطفل وميوله لتوجيهه توجيها صحيحا في حياته العملية .

أما الوالدان فواجبهم مراعاة :

- (١) مساعدة المدرسة على النظام وتوجيه الطفل وتعيده عليه .
 - (٢) عدم تشجيع الأطفال على إهمال واجباتهم المدرسية .
 - (٣) عدم محاربة المدرسة في نشاطها الاجتماعي ، كمنع الطفل من الاشتراك في الألعاب الرياضية أو الحفلات أو الرحلات ...
 - (٤) عدم نقد المدرسة ومعلميها أمام الطفل ، حتى لا يقل احترامه لهم .
 - (٥) العناية بصحة الطفل وتقوية جسمه والاهتمام بنظافته وغرفته ونظافته .
 - (٦) مساعدة المدرسة باستصحاب الطفل في زيارات متنوعة للحقائق والمشآت العامة كالمتاحف ودور الكتب ، مع تفهيم الطفل - بقدر الإمكان - ماتحويه تلك الأمكنة .
- من هذا تتضح لنا الصلة الوثيقة بين البيت والمدرسة ، وأن تعاونهما على تربية الطفل لازم لزوم الشمس والهواء للحياة ، وأن كلا منهما متمم لعمل الآخر ، فإذا فسد أحدهما فسد عمل الثاني .

فمن المهم جدا أن يفهم الوالدان هذه الحقائق ، وأهم من هذا أن يعمل رجال التعليم على تقوية التعاون بينهم وبين الوالدين ، فان في ذلك مصلحة الأبناء ، ومتى صلح الأبناء في صغرهم ، نفعوا الوطن في كبرهم ما